صفاتُ
الزَّوجةِ الصَّالحةِ

صفاتُ الزَّوجةِ الصَّالحةِ

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰـه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد..

فإنَّ موضوع هذه الرِّسالة الَّتي هي بعنوان: «**صفاتُ الزَّوجةِ الصَّالحةِ**» ليس الكلام والخطابُ فيها مختصًّا بالشَّابَّة المقبِلة على الزَّواج الرَّاغبة في معرفة صفات الزَّوجة لتتحلَّى بها ولتهيِّئ نفسَها لتحقيقها وتتميمها وتكميلها.

وليس أيضًا مختصًّا بالمرأة المتزوِّجة الَّتي أحبَّت لنفسِها صفات الزَّوجة الصَّالحة لتحافظ عليها ولتحقِّقها في حياتها.

كما أنَّه ليس مختصًّا بالمرأة المقصِّرة لعلاج ما عندها من تقصير وتذكيرِها بجوانب النَّقص لتتدارك أمْرها وحياتَها الزَّوجيَّة الكريمة.

بل إنَّه خطابٌ وتذكرةٌ أعمُّ من هذا كلِّه؛ فهو تذكرةٌ للأب الَّذي يُريد لبناته ومَن تحتَ يده نشأةً طيِّبةً وحياةً كريمةً ودخولًا للحياة الزَّوجيَّة على وَفق مُراد الله ومُراد رسوله ﷺ لتكون عونًا له ليذكِّرهنَّ بالضَّوابط الشَّرعيَّة والصِّفات المرعيَّة الَّتي ينبغي للفتاة أن تنشأ عليها.

وتَذْكِرةٌ للأمِّ وهي راعية في بيتها ومسؤولةٌ عن بناتها، وموجِّهةٌ لهنَّ، وكثيرٌ من البنات ينشأن على أنواع من الأخلاق والصِّفات اكتسبنها من الأمِّ.

وهو تَذكِرةٌ أيضًا للدُّعاة للعناية بهذا الأمر، والاهتمام به، والسَّعي في نشر هذه الصِّفات الفاضلة والأخلاق

الحميدة والخِلال المباركة، لتكونَ صفات ملازمةٍ للبنات والنِّساء في مجتمع الإيمان وفي ديار المُؤمنين.

لاسيَّما ونحن نعيش زمنًا غُزيت فيه المرأة غزوًا لم يحْصل لها في أيِّ فترة من فترات التَّاريخ السَّابقة، عبر مجالات عديدة، وقنوات كثيرة، ووسائل متعدِّدة، تهدف للإطاحة بعفَّة المرأة، وشرفِها، وكمالها، وحِلْيتِها، وزينتِها، وإيمانِها، وأخلاقِها، وفضيلتِها.

ولقد كانت المرأةُ سابقًا لا يمكن أن تصل إليها الدَّعوات المُفسدة والأهواء المُغرِضة والآراء المنحلَّة إلَّا من خلال قنواتٍ ضيِّقة، إمَّا أن تكون لها رفيقةُ سوء أو نحو ذٰلك فتصلُ إليها بعض الخِلَال السَّيِّئة.

أمَّا اليوم، فتصل إلى المرأة قاذوراتُ العَالم كلِّه، وأراذلُ العالم كلِّه، وفسادُ العالم كلِّه، وهي في قَعر دارها دون أن تخرج من بيتها.

فتَجلسُ المرأةُ في حُجرتها أمام الشَّاشة، أو من خِلال شبكة الأنترنت، أو من خلال بعض المجلَّات الهابطة، فيتسلَّل إلى عقلِها وفِكرها وقلبِها كلُّ شرٍّ وفساد.

فهي تحتاج لتكون صَالحةً عفيفةً ديِّنةً قانتةً لله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أن تَسُدَّ عن نفسِها منافذَ السُّوء، وطرائق الشَّرِّ، ودواخلَ الفساد.

وهي مسؤوليَّة كبيرة أيضًا على مَن ولَّاه الله أمرها، وهو أمرٌ عظيمٌ يحتاج إلى اهتمامٍ بالغٍ وعنايةٍ فائقةٍ.

أقول: في ظلِّ هذه الحال ومع قلَّة التَّذكير ونُدرة المذكِّر بصِفات الإيمان والصِّفات الفاضلة والنُّعوت الطَّيِّبة الَّتي ينبغي أن تتحلَّى بها المرأة، ظهر في كثير من النِّساء ضَعْفٌ ووَهْنٌ، وفشى فيهنَّ قلَّة الحياء والدِّين، وظهر بينهنَّ أنواعٌ كثيرة من التَّقصير، وطرائقَ شتَّى من الإخلال.

وبعد؛ فهذه كلماتٌ عن صفاتِ الزَّوجة الصَّالحة، أسألُ

الله الكريمَ ربَّ العرش العظيم أن يكتبَ فيها خيرًا ونفعًا، وأن يجعلَها مفتاحَ خيرٍ مغلاق شرٍّ، وأن يجعلَ فيها هدايةً للقلوب، وصلاحًا للنُّفوس، وصِلَةً بربِّ العالمين، لتحقيق رضاه، ونيْل محابِّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، والبُعد عمَّا يُسخطه ويغضبه ـ جلَّ وعلا ـ؛ فأقول ـ وبالله أستعين ـ:

عندما نتحدَّث عن صفات الزَّوجة الصَّالحة وعن الصَّلاح، ينبغي ألَّا تغيب عنَّا قاعدةٌ عظيمةٌ في هـٰذا الباب هي أُسُّ الموضوع وأساسٌ لتحصيل الصَّلاح واكتِسابه ونيْلِه؛ ألَا وهي: **أنَّ الصَّلاح لا يُنال إلَّا بأمرين:**

الأوَّل: توفيقُ الله ـ جلَّ وعلا ـ وهدايتُه وعونُه وتيسيرُه وتسديدُه؛ فالهادي هو الله، وهو وحده الموفِّق، والأمور بيده ـ جلَّ وعلا ـ، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]

فالهداية بيده، والصَّلاح بيده، والتَّوفيق بيده، وما شاء كان، وما لم يشَأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

والأمر الآخر: سعيُ الإنسان وبذْلُه جهده ووُسعه في نَيْل الصَّلاح، وطلبِه وسلوكِ أسبابِه ووسائلِه.

وقد جمع النَّبيُّ ﷺ بين هذين الأمرين في قوله ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في الحديث الصَّحيح: «**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(1).

«**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» ببذل الأسباب النَّافعة والوسائل المفيدة الَّتي يُنال بها الصَّلاح وتتحقَّق من خلالها الهداية.

«**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» أي: كُن معتمدًا عليه، متوكِّلًا عليه، طالبًا عونَه، راجيًا منه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أن يوفِّقكَ وأن يسدِّدكَ وأن يثبِّتكَ، وأن يكونَ عونًا لكَ على الصَّلاح والاستقامة، فهذه قاعدةٌ كبرى حوَت جُماع الخير.

---

(1) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وقاعدةٌ أخرى لابدَّ من التَّنبيه عليها؛ ألا وهيَ:

أنَّ منبَع الصَّلاح وأصلَ معرفتِه وسبيلَ الدِّرايةِ به والهدايةَ إليه هو كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ؛ فكان واجبًا ومتأكِّدا على كلِّ مذكِّرٍ بالصَّلاح والإصلاح داعيًا إليه أن يكون معوِّلًا في ذٰلك كلِّه على كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسنَّة رسوله الكريم ﷺ.

أمَّا القرآن فيقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

وأما السُّنَّة وهديُ النَّبيِّ الكريم ﷺ فيقول ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كتَابَ الله، وَسُنَّتِي**»(١).

وعليه فموضوعنا هو: **صفات الزَّوجة الصَّالحة في ضوء كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ**.

---

(١) رواهُ الحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

وكلُّ صفةٍ تَرد في هذه الكلمة تأتي مقرونةً بدليلها، مضمومةً إلى مستنَدها من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ.

وقاعدة ثالثة: وهي أساسٌ تُبنى عليه جميع الطَّاعات وتُقام عليه جميع الفَضائل والكمالات، ألا وهيَ تحقيق تقوى الله تعالى فإنَّها أسُّ الفَضائل ومنبعُ الخيرات وقِوامُ السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، والواجب على المسلمة أن تَعي أنَّ لزومَها لآداب الشَّريعة وتحلِّيها بالصِّفات الفاضلة قُربةٌ من القُرَب الَّتي يُنال بها رضى الله ويحصُل بها أجرُه وثوابُه، وبالتَّفريط فيها يفوتُها مِن ذلك بحَسب ما فرطت فيه من هذه الصِّفات، وسيأتي لهذا مزيدُ تقرير في موضعِه المناسب إن شاء الله.

*** وأوَّل ما أبدأُ به ما جاء في سورة النِّساء في ذكر صفات الزَّوجة الصَّالحة:**

قال الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] لقد أتى هذا

الجزء من الآية على مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالتِه وجمْعه كلَّ صفة فاضلةٍ ونعتٍ كريم للمرأة الصَّالحة.

فدلَّنا هذا النَّص الكريم المبارك على أنَّ الزَّوجة الصَّالحة هي مَن جمعت بين صفتَين:

الصِّفة الأولى: تتعلَّق بصِلتها بربِّها.

والصِّفة الثَّانية: تتعلَّق بصلتِها ببَعلها ـ زوجها ـ.

ـ **أمَّا صلتُها بربِّها**، ففي قوله ـ سبحانه ـ: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾، والقُنوت هو المداومةُ على طاعة الله، والمحافظةُ على عبادة الله، والالتزامُ بطاعة الله، والعنايةُ بفرائض الإسلام وواجبات الدِّين، وعدمُ إهمالها وإضاعتها، فكلُّ ذٰلك داخلٌ تحت قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾.

ـ **الجانب الآخر** في قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: حافظةٌ لحقِّ زوجها وبعلِها في الغَيب، وكذٰلك في الشَّهادة، تحفظه في مالِه، تحفظُه في فراشِه،

تحفظه في حقوقِه، تحفظه في واجباتِه، ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.

ثمَّ إنَّ هذا الَّذِي وقع منها من حفظٍ هو بتوفيق الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وتَيسيره وعونِه وتسديدِه؛ ولهذا قال: ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: أنَّ الأمر ليس بجَدارتِها ولا بحَذْقِها ولا بفطنتِها ولا بكِياسَتِها، وإنَّما هو بتوفيق الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وتسديده لها وتيسيره.

وهذا يذكِّرنا بما أشرتُ إليه قَبل قليل أنَّ الصَّلاح والسَّداد كلَّه بتوفيق الله وتيسيره وعونه وتسهيلِه.

يدخل في قوله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ: ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدِّين.

وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عن النَّبيِّ ﷺ، منها: ما رواه ابن حبَّان في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) برقم (٤١٦٣)، وحسَّنه لغيرِه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب» برقم (١٩٣١).

أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ**».

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[1] من حديث عبد الرَّحمـٰن ابن عوف رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ**».

فهنيئًا للمرأة المسلمة بهذا الموعود الكريم والفَضل العَميم والخير الَّذي وعدها الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ به، أعمالٌ أربعةٌ تعدُّها المرأة على أصابع اليَد الواحدة، وليس على أصابع اليدين، أعمالٌ أربعَةٌ إذا حافظت عليها يُقال لها يوم القيامة: «**ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتِ**».

أليسَ حقيقًا بالمرأة النَّاصحة لنفسها أن تُعنَى بهذه

---

(١) برقم (١٦٦١).

الأوصاف، وأن تهتمَّ بهذه الخِلال، وأن تُواظب على أداء هذه الأعمال؟: حفظُها لصلاتِها، وحفظُها لصيامِها، وحفظُها لفرجِها، وحفظُها لحقوق زوجِها، لتنال هذا الوعد المبارك والخير العميم فيُقال لها يوم القيامة: «**اُدْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتِ**».

إنَّ أساسَ الصَّلاح في المرأة صَلاحُها مع ربِّها، بحُسن طاعته، وحُسن التَّقرُّب إليه، والمواظبَة على عبادتِه، فإنَّ هذا الصَّلاح وتلك الاستقامة هي سرُّ سعادتِها، وسرُّ فلاحِها، وسرُّ توفيقِها في حياتها كلِّها بما في ذٰلك حياتها الزَّوجيَّة، وصَلاح أولادها، وذرِّيَّتها، وعيشها العيشَ المبارَك الهَنيء.

ولهذا كان متأكِّدًا على من أرادت لنفسِها الخير، ومتأكِّدًا على أولياء الأمور الَّذين يحبُّون لبناتِهم الخير أن ينشِّئوهنَّ على الصَّلاح والاستقامة والمحافظة على العِبادة، والعناية بفرائض الإسلام ولاسيَّما الصَّلوات الخَمس، وصيام شهر رمضان، والبُعد عن كلِّ ما يؤثِّر في عفَّة المرأة وشرفِها، وهو

ما جاء بيانه في هـٰذا الحديث بقوله: «**وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا**».

وحِفظ المرأة لفَرجها أمرٌ يتطلَّب منها ومِن وليِّ أمرها سدَّ المنافذ والوسائل الَّتي يكون بها الفَساد، ويحصل من خلالها الشَّرُّ، وتتداعى من جهتِها الآثام والعياذُ بالله.

فهذا مطلَبٌ عظيم ينبَغي على من أرادت لنفسِها الخير أن تنشِّئ نفسَها عليه؛ تحافظ على طاعة الله، وعبادة الله، والتَّقرُّب إليه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ بما يُرضيه من سديدِ الأقوال وصالح الأعمال، ثمَّ إذا مَنَّ الله عليها بالكُفؤ الكريم والزَّوج المناسب عليها أن تتَّقي الله فيه من أوَّل الزَّواج وفي بدايتِه.

وهذا يستوجِب أن ننبِّه إلى مسألة أصبح الخطأ فيها شائعًا، والخلل فيها متكاثرًا، ألَا وهي: الإسراف والبَذخ الَّذي يكون في ليلة الزَّواج وفي نفقة الزَّواج، وهذا أمرٌ خطره بالغٌ، وضررُه عظيمٌ.

وكثيرٌ من النِّساء إذا أقبلَت على الزَّواج اتَّجه اهتمامُها

للشَّكليَّات، واتَّجه اهتمامُها لمشاكلة بنات جِنسها ونظيراتِها، فلانة من النَّاس فعلَت، وفي الزَّواج الفُلاني فعلُوا كذا، تتَّجه بنَظرها إلى تلك النَّظرة فيأتي الإسراف، ويقع البَذخ، ويكثر التَّبذير وإضاعةُ الأموال، إضافةً إلى ما قد يقع أيضًا من منكرات ومحرَّمات، فتكون هذه البداية والتَّقدمة بين يدي الزَّواج سببًا لقصور البركة، وقلَّة الخير.

بخلاف ما إذا ابتعَدت المرأة عن ذٰلك وابتعد أهلُها عن ذلك، وجانبوا الإسرافَ، وجانبوا المعاصي والآثام، وكانت النَّفقة نفقةً لا كُلفة فيها ولا إسراف ولا تبذير، فهُنا تتحقَّق الخيريَّة، وتحلُّ البركة.

ولهذا جاء في الحديث الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ وهو في «سنن أبي داود»(١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «**خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ**»، وفي حديث آخر: «**أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً**

---

(١) برقم (٢١١٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٨٤٢).

أَيْسَرُهُنَّ مَؤُونَةً»[1]، فخير النِّساء أيسرهنَّ.

ولهٰذا ينبغي على المرأة وعلى الأب وعلى الأمِّ أن يكون نصْب أعينهم في النِّكاح وفي مراسيم الزَّواج التَّيسير لا التَّعسير، والتَّواضع لا التَّعالي والتَّرفُّع، والرِّفق والأناة وعدم الإسْراف والبَذخ، فهذا أمرٌ له تأثيره في الحياة الزَّوجيَّة كلِّها سلبًا وإيجابًا.

فإذا كان هناك يسرٌ وتيسيرٌ وبُعدٌ عن الإسراف كان ذٰلك من دواعي حُلول البركة وتوالي الخيرات.

وإذا بُدئ بالإسراف والتَّبذير والمعاصي وأنواع الآثام، فهذا من أعظم أسباب انتزاع البركة والعياذُ بالله.

* * *

* ثمَّ من صفات الزَّوجة الصَّالحة: **الحذر من الشَّيطان**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢٥١٢٠)، والنَّسائي في «الكبرى» برقم (٩٢٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الرَّجيم، والشَّيطان مهمَّته في هذه الحياة الإفساد: إفساد الدِّين، وإفساد الخُلُق، وإفساد المعاملة، وإفساد العِشْرة، وإفساد الأخوَّة؛ وإفساد كلِّ ما هو خيرٌ، وفي كلِّ يوم يبعث بعوثًا ويرسل جندًا للقيام بهذه المهام.

وتأمَّل معي هذا الحديث وهو في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ**» أي: يُرسل الجنود والبعوث للإفسَاد، «**فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**» يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنةً بين النَّاس، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**» يعني: أحد هؤلاء الجنود «**فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ**» أي إبليس يُدني هذا منه، «**وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»، قال الأعمش: أُراه قال: «**فَيَلْتَزِمُهُ**» أي:

---

(١) برقم (٢٨١٣).

يحتَضِنه ويقرِّبه منه ويُدنيه إذا فرَّق بين المرأة وزوجَها.

هنا تحتاج الزَّوجة الصَّالحة أن تتفقَّه في هذا الباب، وأن تَعِيَ هذه الحقيقة وكذٰلك زوجُها، أن يعيَ كلُّ واحدٍ منهما أنَّ ثَمَّة عدوًّا خفيًّا يراكَ ولا تَراه، ويَجري منك مجرى الدَّم من العُروق؛ ينفُث، ويُوسوس، ويَكيد، ويَمكر.. كلُّ ذٰلك يمارسه وأنتَ لا تراه، يُلقي في قلبك وقلبِها الوساوس، ويُوقع الشُّكوك إلى أن تَقع العداوات، وله منافذ عديدة.

ولهذا جاءت السُّنَّة بالتَّحصين منه عند دخول البيت، وعند المعاشرة، وعند الطَّعام، وعند الغضب، في كلِّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلى التَّحصين من الشَّيطان؛ لئلَّا يشاركه الشَّيطان في أهلِه وبيتِه وولدِه، فيحتاج أن يحصِّن نفسَه بالأذكار المباركة، بالقرآن الكريم والدَّعوات المأثورة، وبالمحافظة على طاعة الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ وعبادتِه.

إذًا من صِفات الزَّوجة الصَّالحة الحَذر من كيد الشَّيطان

ونَزغاتِه ووساوسه، وما يُلقيه في النُّفوس ممَّا يترتَّب على الإصغاء له وسماعه فساد العِشرة وتهدُّم بيت الزَّوجيَّة.

وكم من الأُسَرِ والبيوت حصل الفِراق الَّذي لم يكن بعده رَجعة بطاعة الشَّيطان واتِّباع وساوسِه، ولو أنَّ كلَّ واحدٍ منهما تعوَّذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم وابتعَد عن نَزغاتِه ووساوسِه لَمَا وقعت تلك الأمور ولم يحصل ذٰلك التَّفرُّق!.

كم من البيوت حصل فيها تفرُّقٌ بسبب طاعة الشَّيطان، ثمَّ يذهب هذا المفسِد من الشَّياطين إلى إبليس لتدنو منزلته منه وتَقرُب مكانتُه عنده بما أحدثَه من فُرْقَة بين الزَّوجين!.

وهنا ينبغي أن نُلاحظ ملاحظةً مفيدةً: أنَّ هذا العدوَّ الخفيَّ الَّذي يراك ولا تراه صاحب خِبرة واسعة وصاحب تجاربَ عديدةٍ.

الآن عندما يتحدَّثون عن بعض الخبرات لدى بعض الشَّركات فإنَّ أطوَلَ خِبرة قد تصلُ إلى الخمسين أو السِّتِّين

سنةً؛ لكنَّ خِبرة إبليس في الإغواء والصَّدِّ وحَرف النَّاس وإيقاع العداوات؟ خِبرة آلاف السَّنوات، كم منَ النَّاس دخلوا الحُفَر ودُفِنوا وكانوا من أسارى دعوة الشَّيطان الرَّجيم، ومن آثار إفساده وإغوائه؛ ولهذا يحتاج البيتُ المسلمُ إلى أن يحصِّن نفسَه، وأن يصونَها، وأن يُبعِدَها من الشَّيطان الرَّجيم.

* * *

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **إدخال السُّرور على زوجها إذا نظَر إليها** في هيئتِها، وفي منظرِها، وفي شكلِها، وفي لباسِها، وأن تكونَ معوِّدةً لنفسِها على طاعتِه والاستجابةِ لأوامِره بدون استِنكاف أو استكبار أو تعالٍ، وليتأمَّل في ذلك حديث النَّبيِّ ﷺ وهو في «سنن النَّسائي»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا**

(١) برقم (٣٢٣١)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٨٣٨).

وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»؛ فهذه صفتُها من حيث المنظرُ والهيئةُ والشَّكلُ، تعتَني عنايةً فائقةً بهيئَتِها ومنظَرِها أمامَه وكلَّما حضر، وأيضًا أوامرُه ورغباتُه وحَاجاتُه تكون محلَّ الاهتمام والعناية.

ومن الأمور المُؤسفة أنَّ كثيرًا من النِّساء لا تعرف الزِّينة والتَّجمُّل إلَّا إذا أرادت أن تخرجَ من البَيْت وتُغادره لحضور مناسبةٍ ما أو اجتماعٍ ما أو نحو ذٰلك، أمَّا فيما يتعلَّق بحقِّ الزَّوج إذا دخل فتلقاهُ بثيابٍ رثَّةٍ، وبرائحةٍ غير طيِّبةٍ، وبشعرٍ شعثٍ، وبصفاتٍ تصدُّه عنها وتقطَع مِن رغبتِه فيها، ثمَّ يُفاجأ أنَّها في كلِّ مرَّة تريد أن تخرج من البيت تخرجُ بزينةٍ لا يحظَى ولا بعُشرِها؛ فأيُّ رغبةٍ تملأ قلبَ هذا الزَّوج تجاه مَن هذه صفتُها؟! وأيُّ حُبٍّ يكتنِف جوانِحَه إذا كان هذا شأنُها معه؟

وهذا من دلائل حُمْق المرأة وقلَّةِ عقلِها في تحقيق كمال الحياة الزَّوجيَّة، وتحقيق سموِّها ورفعتِها.

إضافةً إلى ما تكون عليه كثيرٌ من النِّساء من عدم الطَّواعيَّة

والاستجابة، وكثرة التَّبرُّم والتَّسخُّط والتَّشكِّي بما تواجه به الزَّوجَ وبما تُواجه به غيرَه؛ فتجلب لبيتِها حياةً تعيسةً، وحياةً نَكِدةً، وحياةً متفكِّكةً، وتكون هي الجانية على نفسِها.

يقول ﷺ كما في «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر رضي الله عنه: **«إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا»** يعني لا يفاجئهم في اللَّيل؛ لماذا؟ قال: **«حَتَّى تَسْتَحِدَّ المَغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ»** وهذا فيه لفتَةٌ كريمةٌ للمَرأة وهو أنَّه ينبَغي أن تلقى زوجَها بكمال نظافَتِها وحُسن هيئَتِها وجَمال استعدادِها، ولاسيَّما إذا كان قَدِم مِن غَيْبة أو مِن سَفر، فهذا أمرٌ يتطلَّب منها استعدادًا وتهيُّؤًا حتَّى في ترتِيب البيت وتهيئتِه، كما جاء عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ؛ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ هتَكَهُ، وَقَالَ: **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ**

(١) برقم (٧١٥).

يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله؛ قَالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ»[1]؛ لماذا وضعَت هذا القِرام ـ أي السِّتار ـ؟ لأنَّها أرادَت إذا دخل ﷺ إلى البيت يجدُ فيه شيئًا من التَّحسين أو التَّهيئة في البيتِ نفسِه وفي المرأة نفسِها.

فنستَفيدُ من هذا الحديث فائدةً وهيَ أنَّ المرأة ينبغي أن تهيِّئَ البيتَ وترتِّبَه، وأن تُحسِنَ إعدادَه وتهيئتَه، كما ينبغي لها إعدادَ نفسِها الإعداد التَّامَّ الكامل، وتُحسن استقبالَ زوجِها، فهذه كلُّها من الصِّفات الَّتي جاءت في سنَّة النَّبيِّ ﷺ للمرأة والزَّوجة الصَّالحة.

ومن ذلك أيضا ما جاء في «المعجم الأوسط»[2] للطَّبراني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الجَنَّةِ؟**» يعني: الزَّوجة الَّتي صارت

---

(١) أخرجه البخاريُّ برقم (٥٩٥٤)، ومسلمٌ برقم (٢١٠٧) .

(٢) برقم (١٧٤٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٨٠).

أهلًا ومهيَّأة لأَن تكون من أهل الجنَّة بصفاتها الحميدة وخلالها المباركة، قال: «**كُلُّ وَدُودٍ وَلُودٍ، إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا، قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْضٍ حَتَّى تَرضَى**» يعني: لا أغمضُ عَيني ولا أهنأُ بنومٍ ولا تقرُّ لي عينٌ حتَّى ترضى عنِّي.

ومنَ المؤسفِ أنَّ بعضَ النِّساء لا تُبالي أن يَنام زوجُها اللَّيلة والثِّنتين والثَّلاث والعَشر والشَّهر وهو مغضبٌ، وكأنَّ الأمر لا يعنيها! ولا كأنَّها ستلقى الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ويحاسبُها على هذه الأمور وعلى هذه الأعمال.

* * *

* ومن صفات المرأة الصَّالحة: ما جاء في «سنن البَيهقي»[1] عن أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ الوَلُودُ المُوَاتِيَةُ المُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ**

---

(١) (٧/ ٨٢)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٨٤٩).

المُتَبَرِّجَاتُ المُتَخَيِّلاتُ وَهُنَّ المُنَافِقَاتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ».

فانظر إلى هذه الصِّفات للزَّوجة الصَّالحة:

ـ «**الوَدُودُ**» وهذه صفة كريمةٌ وخُلَّة حميدة في المرأة الصَّالحة والزَّوجة المباركة، «**الوَدُودُ**» أي: المتَّصفة بالوُدِّ وحُسن التَّودُّد، وأحقُّ النَّاس بذٰلك الزَّوج، أن تُحسِن التَّودُّد إليه وأن تَكسبَ مشاعِرَه وعاطفتَه بكلماتِها اللَّطيفة وألفاظِها العَذبة، وحسن تودُّدها له في معاملتها له، وفي مظهَرها وهيئتِها.

فالتَّودُّد يكون بالكَلام، ويكون بالهَيئة، ويكونُ بالمَظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخُلُق.

ـ «**الوَلُودُ**» أي: كثيرة الإنجاب، وهي صفةٌ حميدة في المرأة، وهيَ مِن خير النِّساء، وإذا كانت المرأة مبتلاةً بعلَّة أو مرض فهذا أمرٌ لا يضرُّها؛ لأنَّه ليس أمرًا قصَّرت فيه أو سَعت هي في الإخلال به؛ فلا يُحاسِبها الله على ذٰلك ولا يضرُّها ذٰلك، ولا يتنافى ذٰلك مع صَلاحها.

أمَّا إن كانت هي ولودًا ولٰكنَّها تمنَع الأولاد وتَقطع الإنجابَ، وتسعَى في قَطعِه فهذا فيه ضررٌ عليها، وقد قال ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١)، فالَّذي ينبغي على المرأة أن تسعَى في وجود الأولاد، وتبذُل السَّببَ في ذٰلك، وتسعى في تربيتِهم وتنشئتِهم ورعايتِهم، وتحتَسب لتكون سببًا في أن يوجَد في المجتمع أبناءٌ صالحون ودعاةٌ مصلحون، وتحتَسب ذٰلك من أوَّل دخولها في الزَّواج، تقول بينها وبين الله: لعلَّ الله يكرمُني بأبناءٍ من أئمَّة الهدى، أو من علماء المسلمين، أو من دُعاة الخير، فيُكتَبُ لها الأجر العظيم على هذه النِّيَّة الصَّالحة وما يتْبَعها من العِنَاية والرِّعاية.

ـ و«**المُوَاتِيَةُ**» أي: الَّتي ليست فظَّةً ولا غليظةً، بل هي

---

(١) أخرجَه أحمد (١٢٦١٣) من حديثِ أنس ﷺ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (١٧٨٤).

مواتيةٌ تسمَعُ وتطيعُ وتَستجيبُ ولا تَستنكف ولا تَستكبر ولا تَستعلي على الزَّوج، ولا يكون منها نشوزٌ أو تعالٍ.

ـ و«**المُوَاسِيَةُ**» أي: الَّتي تُواسي زوجَها وتقفُ إلى جَنبِه، وتكون عونًا له على الخير وعلى طاعة الله، وعلى ما فيه السَّعادة والفلاح.

ـ «**إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ**» أي: أنَّ هذه الصِّفات إنَّما تكون نافعةً للمرأة إذا اتَّقت الله ـ جلَّ وعلا ـ، فلو كانت ودودًا ولودًا مواتيةً مواسيةً وهي تطلب بذٰلك أمرَ الدُّنيا ليست متَّقيةً لله لم تُفدها هذه الصِّفات ولم تنفَعْها، وإنَّما تكون هذه الصِّفات نافعةً لها إذا اتَّصفَت بها طلبًا لرضَى الله ـ جلَّ وعلا ـ وسعيًا في تحقيق تقواه.

قال: «**وَشَرُّ نِسَائِكُمُ المُتَبَرِّجَاتُ**» أي: الَّتي تتبرَّج بزينتِها، وتخرج بحِليتها، فتخرج متأنِّقةً متجمِّلةً متعطِّرةً متحلِّيةً متزيِّنةً لتكون شرفًا للشَّيطان وغرضًا له في إفساد المجتَمع.

فالمرأة المتبرِّجة الَّتي تخرج بهذه الصِّفة خرجَت في الحقيقة لتكون أحدَ جنود إبليس وعونًا له على الإفساد، وهدفًا له في إيقاع الفِتنة وإثارَة الفاحشة في الَّذين آمنوا.

قال: «**المُتَخَيِّلاتُ**» وهذا من الخُيَلاء، وهو الكِبْر، وهناك تلازمٌ بين التَّبرُّج والخُيَلاء، فالمرأةُ إذا تبرَّجت وتزيَّنت وتعطَّرت وتجمَّلت لن تخرجَ إلى الشَّارع وإلى السُّوق بصفة متطامنَة متواضعةٍ لله تَعَالَى؛ بل تخرج مختالةً متعاليةً مترفِّعةً فيها الكِبْر وفيها العُجْب بنفسِها وبهيئتِها ومنظرِها؟! فهناكَ تلازمٌ بين الخُيلاء والتَّبرُّج، كما أنَّه ثمَّة تلازمٌ بين الحِشمة والحياء.

فالمرأة المحتشِمة مُفعَمةٌ بالحياء، وقلبها ممتلئٌ منه، بينما المرأة المتبرِّجة طرحت جلبابَ الحياء ولبست بَدَله جلبابَ الكِبْر والعُجْب والغُرور والخُيلاء، ممَّا يجني عليها ويضرُّ بحياتِها الزَّوجيَّة، بل بحياتها كلِّها.

ولهذا وَصَف من كانت كذٰلك بأنَّها شرُّ النِّساء، قال:

«**وَشَرُّ نِسَائِكُمُ المُتبَرِّجَاتُ المُتَخَيِّلاتُ وَهُنَّ المُنَافِقَاتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ**»، «**الغُرَابِ الأَعْصَمِ**» أي: الَّذي في جناحَيْه وفي قَدمَيْه شيءٌ من البَياض، ومتى تشاهد الغراب الأعصم بين الغِربان السُّحم السُّود؟ مِن أندَر النَّادر أن تَجد الغرابَ الأعصَم؛ فالغالبُ أن ترى الغِربان كلَّها سوداً سوادا متكاملًا في كلِّ أجزائِها، فقولُه ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ**» فيه كنايةٌ عن قلَّة من يدخل الجنَّة من هؤلاء النِّساء؛ لأنَّ هذا الوصفَ في الغِربان قليلٌ نادرٌ.

ومثل هذا الحديث قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»(١)؛ لماذا رأى النِّساء أكثرَ أهل النَّار؟ عندما تنظُرُ في الصِّفات الَّتي جاءَ في السُّنَّة عدُّها في صفات الأشرار أهلِ النَّار، تجد أنَّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤، ١٤٦٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم برقم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

كثيرًا من النِّساء لا تُبالي ولا تهتمُّ بذلك، حتَّى كأنَّها ليس لها يومٌ ستلقَى اللهَ فيه ويحاسبُها على ذٰلك، وقد يبلغُها الحديثُ والعلمُ ولٰكنَّها همُّها شهوتها ورغباتها.

أحاديثٌ كثيرةٌ جاءت عن النَّبيِّ ﷺ في ذكر أوصافٍ مذمومة للمرأة إذا اتَّصفت بها؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: «**لعَنَ النَّبيُّ ﷺ الوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ**»[1]، وعن ابن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «**لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ**»[2]، و«**لعن النَّبيُّ ﷺ المُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**»[3]، فبالرُّغم من ورود هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الَّتي فيها لعن للنِّساء في أوصافٍ معيَّنةٍ، تجد في كثير مِنَ النِّساء مَن تسمَع اللَّعن والطَّرد والإبعَاد من رحمة

---

(١) أخرجه البخاريُّ برقم (٥٩٤٧) ومسلِم برقم (٢١٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨٨٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما .

الله ولا تبالي؛ ولا كأنَّها ستقفُ أمام الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ويسألها، ولا كأنَّها يومًا من الأيَّام ستُدرَج في حفرةٍ ويُوارَى عليها التُّراب وتَقْدُم على أمور هائلة، حيثُ تكون الألوانُ حائلةً، والأعناقُ عن الأبدان زائلةً، والعيونُ على الخدود سائلةً، كلُّ هذا تذهُل عنه ويغيبُ عن ذهنِها، ولا يكون همُّها إلَّا أن تتجمَّل وتتزيَّن ولو كانت الأعمال الَّتي تمارسها معصيةً لله ومخالفةً لأمره، ومن موجبات غضبِه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وسخطِه.

إذًا هناك أوصافٌ ومَذامٌّ جاء بيانها في السُّنَّة للنِّساء لتكون المرأة الصَّالحة منها على حَذر، ومعرفةُ المرأة بهذه الأشياء هيَ معرفةٌ يُقصَد منها الحذَر والاجتناب على حدِّ قول من قال:

عرَفْتُ الشَّـرَّ لَا لِلشَّرِّ ... لٰـكِـنْ لِـتَـوَقِّــيـهِ
وَمَنْ لَا يَـعْرِفِ الشَّـرَّ ... مِـنَ الـنَّـاسِ يَـقَعْ فِـيـهِ

❊ ❊ ❊

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **عدم التَّقصير في حُقوق الزَّوج**، وبَذل الوسع والجهد في خدمتِه؛ وليتأمَّل في هذا ما رواه النَّسائي في «السُّنن الكبرى»[1] عن حُصَين بن مِحْصَن عن عمَّةٍ له: أنَّها أتَت رسولَ الله ﷺ لحاجةٍ، فلمَّا فرغَ من حاجتِها، قال: «**أذَاتُ زَوْجٍ أنْتِ؟**» قالت: نعم؛ قال: «**فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟**» قالت: ما آلُوه إلَّا مَا أعْجزُ عنه؛ قال: «**انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ! فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**».

متى يكون الزَّوج لزوجَته جنَّةً ومتى يكون نارًا؟ هنا يجب على المرأة أن تَعيَ هذه الحقيقة، أن تَعيَ هذا الأمر الكبير، «**أيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟**»، عليكِ واجباتٌ وأنتِ عبدٌ لله، وثمَّة جنَّة ونار، والله عَزَّوَجَلَّ أمركِ وأوجَبَ عليكِ هذه الحقوق تُجاه الزَّوج، فقُومي بها، وأدِّيها على التَّمام والكمال طاعةً لله

(١) برقم (٨٩١٣)، ورواه أحمد برقم (١٩٠٠٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٦١٢).

وطلبًا لرضاه سبحانه، أدِّي الَّذي عليكِ واسألي الله الَّذي لكِ «**فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**».

❋ ❋ ❋

❋ ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **عدم إرهاق الزَّوج بالنَّفقة** وألَّا تكونَ أداةً في البيتِ للبَذخ والإسراف وإضاعةً مال الزَّوج بل تعتَدل؛ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]

ولنتأمَّل في هذا البابِ ما جاء عن أبي سَعيد أو جابر[1] أنَّ نبيَّ الله ﷺ خطبَ خُطبة فأطالها، وذَكر فيها أمر الدُّنيا والآخرة، فذكر أنَّ «**أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ اِمْرَأَةَ الفَقِيرِ كَانَتْ تُكَلِّفُهُ مِنَ الثِّيَابِ أَوْ الصِّيَغِ** ـ أوْ قالَ: **منَ الصِّيغَةِ ـ مَا**

(١) أخرجَه ابنُ خُزيمةَ في «التَّوحيد» برقم (٤٨٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٥٩١).
وأخرج مسلم برقم (٢٢٥٢) عن أبي سَعيد وحده قِصَّة المرأة القَصِيرةِ فقط.

تُكَلِّفُ اِمْرَأَةُ الغَنِيِّ، فذكَر اِمْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ قَصِيرَةً وَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ وَخَاتَمًا لَهُ غَلَقٌ وطَبَقٌ وحَشَتْهُ مِسْكًا، وَخَرَجَتْ بَيْنَ اِمْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ أَوْ جَسِيمَتَيْنِ، فَبَعَثُوا إِنْسَانًا يَتْبَعُهُنَّ، فَعَرَفَ الطَّوِيلَتَيْنِ وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحِبَةَ الرِّجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ».

فأوَّل ما كانَ هلاكُ بني إسرائيلَ أنَّ امرأةَ الفقيرِ كانت تكلِّفُ زَوجَها منَ الصِّيغةِ والحليِّ والزِّينةِ مثل ما تكلِّفُ امرأةُ الغنيِّ زَوجَها؛ ثمَّ انظُر إلى صَنيع هذه المرأةِ القصيرةِ وما فيه من الإسرافِ والبَذخ وإضاعةِ المال والتَّدليسِ، وعدمِ القناعةِ بما كتَبَ الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لها.

وما أشبَه ذواتِ الكعبِ العالي بها، وقد جاء في فتوى اللَّجنة الدَّائمة للإفتاء ما نصُّه:

«لُبْسُ الكعب العالي لا يجوز؛ لأنَّه يعرضُ المرأةَ للسُّقوط، والإنسان مأمورٌ شرعًا بتجنُّب الأخطار بمِثل عموم قولِ الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]،

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، كما إنَّه يُظهِرُ قامةَ المرأة وعجيزَتَها أكثرَ ممَّا هيَ عليه، وفي هذا تدليسٌ، وإبداءٌ لبَعض الزِّينة الَّتي نُهيتْ عن إبدائِها».

* * *

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **عدمُ كُفران المنعِمين،** أي: لا تكفر ما يسَّر الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لها من نعمةٍ عن طريق زوجِها، وفي الحديث: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(١).

وممَّا جاء في هذا الباب: ما رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد»(٢) من حديث أسماء ابنة يزيد الأنصاريَّة قالت: مرَّ بي النَّبيُّ ﷺ وأنا في جِوار أتْرابٍ لي فسَلَّم علينا، وقال: «**إيَّاكُنَّ**

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٧٩٣٩)، وأبو داود برقم (٤٨١١) منْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٤١٦).

(٢) برقم (١٠٤٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٨٢٣).

وَكُفْرَ الْمُنْعِمِين» فقلتُ: يا رسولَ الله، وما كُفْرُ الْمُنْعِمين؟ قال: «**لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ تَطُولُ أَيْمَتُها مِنْ أَبَوَيْهَا ثُمَّ يَرْزُقُهَا اللهُ زَوْجًا وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا فَتَغْضَبُ الغضْبَةَ؛ فَتكْفُرُ فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**».

قوله: «**تَطُولُ أَيْمَتُها مِنْ أَبَوَيْهَا**» يعني: يتأخَّر زواجُها.

وجاء في «السُّنن الكبرى» للنَّسائي[1] عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى اِمْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ**».

* * *

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **احترامُ الزَّوج، ومعرفةُ قدْره وحقِّه**، وجاء في هذا أحاديث، منها: ما رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير»[2] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) برقم (٩١٣٥)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٨٩).

(٢) (١١/ ٣٥٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٤٩٠).

قال: «**لَا آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُد لِأَحَدٍ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

وجاء أيضًا في «المعجم الكبير» للطَّبراني[1] عن زيد ابن أرقم أنَّ معاذًا قال: يا رسول الله، أرأيتَ أهلَ الكتاب يسجُدون لأساقِفتِهم وبطارقَتِهم أفلا نسجُد لك؟ قال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي المَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ**».

ويتضاعفُ حقُّ الزَّوج إن كان رجلاً من أهل الصَّلاح والتُّقى والدِّيانة والمُحافظة على عبادة الله والرِّعاية لطاعتِه؛ روى التِّرمذيُّ وابنُ ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ**

---

(١) (٥/ ٢٠٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٣٦٦).

دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»[1]، قال أهل العلم: في الحديث إنذارٌ شديدٌ للنِّساء المؤذياتِ لأزواجهنَّ.

* * *

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **إذا منَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدلَ بينهم**، كما قال ﷺ: «**اِعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، اِعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**» والحديث في «سنن أبي داود»[2]، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عديدة.

* * *

* ومن صفات المرأة الصَّالحة: **أن تقرَّ في بيتها، وألَّا تكون خرَّاجةً ولَّاجةً**، وإذا خرجت لا تخرج إلَّا لحاجةٍ، ولا

---

(١) «سنن التِّرمذي» برقم (١١٧٤)، و«سنن ابن ماجَه» برقم (٢٠١٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٧٣).

(٢) برقم (٣٥٤٤) من حديثِ النُّعمان بنِ بَشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٢٤٠).

تكون متبرِّجةً سافرةً، وأيضًا تكون غاضَّةً لبَصرِها، حافظةً لفَرجها، وقد مرَّ معنا في هذا بعض النُّصوص، وممَّا ورد في هذا: ما رواه الطَّبرانيُّ في «الأوسط»(١) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «**المرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ اِسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ** ـ أي: جعلها غرضًا له ـ **وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الله مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**».

* * *

* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: **عدم إفشاء سرِّ الزَّوج والأمور الخاصَّة بين الزَّوجين** حتَّى لو وقع بينهما فُرقةٌ ولم يتحقَّق وئامٌ، فكلٌّ منهما عليه أن يتَّقيَ الله ـ جلَّ وعلا ـ في هذا الأمر.

وفي هذا ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»(٢) عن أسماء

---

(١) برقم (٢٨٩٠ و٨٠٩٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٦٨٨).

(٢) برقم(٢٧٥٨٣) وصَحَّحه لغيرِه الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَحيح التَّرغيبِ والتَّرهيب» (ح٢٠٢٢)، وانظُر الإرواء (ح٢٠١١).

بنت يزيد: أنَّها كانت عند رسول الله ﷺ والرِّجال والنِّساء قعودٌ عنده فقال: «**لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأَرَمَّ القَوْمُ**[1]؛ فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ؛ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قالَ: **لَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنَّمَا ذلِكَ مَثَلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**».

فقولها: «إنَّهنَّ ليقُلنَ وإنَّهم ليفعلون»، بدأتْ بالنِّساء في ذكر هذا الأمر؛ لأنَّه يَكثُر في النِّساء ويقلُّ جدًّا في الرِّجال، فالمرأة تتحدَّث مع رفيقاتها وزميلاتها وصاحباتها في مثل هذه الأمور الخاصَّة، وكثير منهنَّ لا تبالي من أن تذكُرَ لها أسرارَ زوجِها وأموره الخاصَّة.

وقوله ﷺ: «**فَإِنَّمَا ذلِكَ مَثَلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**» يعني: المرأة الَّتي بهذه الصِّفة

---

(١) أي سكتوا.

والرَّجل الَّذي بهذه الصِّفة يُفشي الأسرارَ الزَّوجيَّة مَثَلُهما مثَلُ شيطان لقيَ شيطانةً في الطَّريق وغشيَها والنَّاس ينظرون.

هذه بعض صفات الزَّوجة الصَّالحة جمعتُها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنَّة النَّبيِّ الكريم ﷺ راجياً الرَّبَّ سبحانه أن ينفعَ بها مَن شاء من عبادِه فهُو وحده وليُّ التَّوفيق.

وأسألُ الله ـ جلَّ وعلا ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يهدينا جميعًا سواء السَّبيل، وأن يجعل ما نتعلَّمُه حجَّةً لنا لا علينا، وأن يُبارك لنا في أقوالِنا وأعمالِنا وأوقاتِنا وأزواجِنا وذرِّيَّاتِنا وأموالِنا، وأن يبارك لنا في حياتِنا كلِّها، وأن يصلِح لنا دينَنا الَّذي هو عصمةُ أمرنا، وأن يُصلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشُنا، وأن يصلِحَ لنا آخرتَنا الَّتي فيها معادُنا، وأن يجعلَ الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ، وأن يُصلحَ نساءَ المسلمين وبناتِهم، وأن يهديهنَّ سواء السَّبيل، وأن يَردُّهنَّ إليه ردًّا جميلًا، وأن يعيذهنَّ من الفتن كلِّها ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفِّقنا جميعًا لكلِّ خير يحبُّه

ويرضاه، إنه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ سميع الدُّعاء، وهو أهل الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلىَّ الله وسلَّم وبارك وأنعم على عبده ورسوله ومصطفاه محمَّد بن عبد الله صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبِه أجمعين[١].

* * *

(١) أصل هذه الرِّسالة محاضرةٌ أجريتُ عليها بعضَ التَّعديلات اليسيرة، مع إبقائها على أسلوبها الإلقائي.

الفِهرس